

## النبوءة الخامسة: نزول المسيح وظهور المهدي

ورد في الحديث الشريف نبأ نزول المسيح في آخر الزمان حكما عدلا ليقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية. ومن الأحاديث التي تذكر نزوله ما يلي<sup>١٤</sup>:

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجَزِيَّةَ وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ} (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء)

كما ورد في مسلم:

عَنْ التَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {....فَيَبِينَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةٍ مَلَكَيْنِ إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ فَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكُهُ بِبَابٍ لِدِّ فَيَقْتُلُهُ} (صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة)

<sup>١٤</sup> خبر نزول المسيح وخروج الدجال جاء في أحاديث كثيرة رواها ما يزيد على عشرين صحابيا، مما يجعله نبأ متواترا، بل لعله من أوثق الأنباء التي يذكرها الحديث الشريف.

وقد وردت أخبارٌ عن ظهور الإمام المهدي في آخر الزمان أيضا في وقت نزول المسيح؛ مما يعني أن المسلمين ينتظرون المسيح والمهدي وفقا للحديث. أما القرآن، فكما ذكرنا سابقا، فهو يذكر البعثة الثانية للنبي ﷺ في أوائل سورة الجمعة<sup>١٥</sup> عند افتراق الأمة وضعفها، والتي فسرها النبي ﷺ ببعثة رجل فارسي يعيد الإيمان إلى الأرض بعد أن يرتفع إلى الثريا. وهكذا يبدو ظاهريا أن المسلمين ينتظرون ثلاثة أشخاص وفقا لأنباء القرآن والحديث وهم: الرجل الفارسي نائب النبي ﷺ في بعثته الثانية، المسيح، والمهدي.

وفيما يتعلق بالحديث، فقد بيّن صحيح الحديث الشريف أن المسيح نفسه سيكون الإمام المهدي أيضا، حيث جاء في مسند أحمد وصفا للمسيح بأنه إمام مهدي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {يُوشِكُ مَنْ عَاشَ مِنْكُمْ

<sup>١٥</sup> هنالك إشارات قرآنية مباشرة أخرى إلى هذه البعثة منها قوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِّنَ الْأَحْزَابِ فَالْتَأَرْ مُوعَدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (هود ١٨)، حيث تذكر هذه الآية بوضوح أن شاهدا من النبي ﷺ سيتلوه في المستقبل، وأن النار موعده من سينكر النبي ﷺ وذلك الشاهد، ويجب ألا يكون هنالك مرء في هذا الأمر.

أَنْ يَلْقَى عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِمَامًا مَهْدِيًّا وَحَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا { (مسند أحمد، كتاب باقي مسند المكثرين)

كما جاء في سنن ابن ماجه أنه لا مهدي إلا المسيح:

عن يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدِ الْجُنْدِيِّ عَنْ أَبِي بَانَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ الْحَسَنِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { لَا يَزْدَادُ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً وَلَا الدُّنْيَا إِلَّا إِذْبَارًا وَلَا النَّاسُ إِلَّا شُحًّا وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ وَلَا الْمَهْدِيُّ إِلَّا عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ } (سنن ابن ماجه، كتاب الفتن) ١٦

وهذا الحديث يؤكد أن المهدي الحق سيكون هو المسيح حصراً<sup>١٧</sup>.

١٦ حاول بعض المحدثين التشكيك في هذا الحديث لأنه يخالف عقيدتهم بظنهم أن المهدي غير المسيح، ولكن هذا التشكيك لا يصح، لأنه مروى عن ثقات كما أورد أهل العلم. وذكر السندي شارح سنن ابن ماجه ما قاله الحاكم في أن هناك من ظن أن هذا الحديث قد انفرد فيه الشافعي، وهذا ليس بصحيح، ثم أورد سنداً لأبي يحيى بن السكن عن محمد بن خالد الجندي أيضاً. ثم قال السندي إن الحاكم قال إن الجندي مجهول، وقد أخطأ في هذا إذ روى عنه أهل العلم أحاديث أخرى وقال عنه يحيى بن معين إنه ثقة.

١٧ قال السندي تعليقا على هذا الحديث: "وهذا الحديث فيما يظهر ببادئ الرأي مخالف للأحاديث في إثبات مهدي غير عيسى بن مريم وعند التأمل لا ينافيها، بل يكون المراد

أما أخبار المهدي ومعاملته مع المسيح التي يبدو منها أنهما شخصان مختلفان، فهي ضعيفة ومتعارضة بشدة ظاهرياً<sup>١٨</sup>، وينبغي أن تؤول وتفهم على ضوء ما هو أوثق منها من الأحاديث.

أما عن زمانه، فتؤكد الأحاديث - كما رأينا في حديث البخاري أعلاه - أن زمانه سيكون زمن افتراق الأمة وضعفها، لأنه سيكون حكماً عدلاً؛ حيث سيفصل فيما اختلفت فيه الفرق الإسلامية المتفرقة، وهذا يعني أنه لن يكون منتبياً لأي منها، بل سيؤسس فرقته الجديدة، التي ستكون هي الفرقة الناجية.

من ذلك أن المهديَّ حقَّ المهديِّ هو عيسى بن مريم ولا ينفي ذلك أن يكون غيره مهدياً والله أعلم". ونقول بأننا إذا قبلنا هذا التأويل فهو سيؤدي إلى النتيجة نفسها، وهي أن شخصية المهدي الحقِّ الكامل هي شخصية المسيح نفسها، أما غيره ممن يمكن أن يسموا بأئمة مهديين فهم دونه، ولهذا فستنتفي الحاجة إلى وجود مهدي غيره في وقته، وتصبح الأبناء المتعلقة بالإمام المهدي المصاحب للمسيح تخصه هو حصراً. أما من يمكن أن يسمى بإمام مهدي خارج ذلك الزمان تجاوزاً فهو ليس الإمام المهدي المقصود بالأحاديث أصلاً.

<sup>١٨</sup> كذلك تجدر الإشارة إلى أن الأحاديث في الصحاح التي تُحمل على أنها تتعلق بالمهدي الذي يلتقي بالمسيح عند نزوله لم تذكر الإمام المهدي بل ذكرت أميراً أو إماماً دون تعريفه. ومع ذلك، فهي عند تأويلها تفيد في إلقاء الضوء على جوانب مختلفة من نبوءة نزول المسيح.

وقد رأينا سابقا، أن نبوءة بعثة النبي ﷺ الثانية في الآخرين، وتأسيس جماعة الآخرين الملحقة بالأولين على يد نائبه الرجل الفارسي، ستكون أيضا عند افتراق الأمة إلى فرق ومذاهب شتى. وهكذا يتضح أن زمان المبعوث الفارسي الذي ذكره القرآن هو زمان نزول المسيح نفسه!

### فكيف نوفق بين النبوءتين إذن؟

ليكن واضحا أن القرآن الكريم لا يذكر سوى بعثة النبي ﷺ الثانية في الآخرين عن طريق الرجل الفارسي كما أوضحنا، ومع أن نبأ نزول المسيح في آخر الزمان - الذي سيكون هو بنفسه الإمام المهدي والحكم العدل - قد ورد في الحديث، وهو أدنى درجة من القرآن كما هو معلوم، إلا أنه لا سبيل إلى إنكاره، بسبب تواتر خبر نزوله. لذلك يجب أن نقدم خبر القرآن على خبر الحديث، وأن نبحث عن مرتكز لخبر نزول المسيح في القرآن. فخير نزول المسيح، على ما يحمله من أهمية، ينبغي أن يكون موجودا في القرآن تصريحاً أو تلميحاً.

وبالنظر إلى القرآن الكريم نجد أنه لم يذكر خبر نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بنفسه مطلقا، ولا يقبل هذا النزول على ظاهره، وذلك لما يلي:

**أولا:** أعلن القرآن الكريم وفاة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بآيات قاطعة، وأكد أيضا أنه لن يعود بنفسه في آخر الزمان لكسر صليب النصارى الذين اتخذوه إلها - خلافا لخبر الحديث ظاهريا -، كما أنه قد توفي قبل فساد النصارى

وتأليهم له<sup>١٩</sup>. فهذا الحكم القرآني وحده كافٍ لكي نرفض عودة المسيح عيسى

<sup>١٩</sup> يعلن القرآن الكريم وفاة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بصورة قاطعة في مواضع عديدة. وسنكتفي بتبيان أن الله تعالى قد وعده بالوفاة في قوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ كِتَابَكَ﴾ (آل عمران: ٥٦)، ثم ذكر القرآن الكريم أن الوفاة قد تمت بالفعل قبل فساد النصراني في قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة: ١١٨) وهذا يعني أنه سيشهد أمام الله تعالى يوم القيامة أنه قد بلغهم الدين الحق، وشهد عليهم أنهم يسرون عليه، ثم فارقههم بالوفاة وهم على التوحيد، ثم لم يعد مرة أخرى بنفسه لإبطال عقيدتهم الشركية القائمة على تأليهه. وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية ضمناً في حديث الردة الشهير حيث جاء فيه: ﴿وَأَنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤَخِّدُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصِيحَابِي فَيَقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن)، وبهذا فقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم أنه كما فارق قومه بالوفاة التي هي الموت حصراً كذلك حدث مع عيسى بن مريم عليه السلام، وأنه كما لم يشهد ردتهم كذلك فإن المسيح لم يشهد ردة النصراني وكفرهم وتأليهم له. فلو كان حياً حتى اليوم لاستلزم هذا أن النصراني لم يفسدوا وأتهم ما زالوا على التوحيد، ثم لو نزل بنفسه وأصلح فساد النصراني فهذا يستلزم أنه سيكذب على الله تعالى يوم القيامة، والعياذ بالله، لأنه قد عاد وكسر صليبيهم وأبطل شركهم. فهذه الآية وحدها في سورة المائدة تقدم دليلاً كافياً من القرآن الكريم على وفاة المسيح وعلى استحالة نزوله بنفسه. وقد وردت أدلة أخرى عديدة

بن مريم عليها السلام بنفسه من أساسها، لأنها تصطدم بالقرآن الكريم.

أما الظن بأن المسيح ما زال حيًا، وأنه قد رُفِعَ إلى السماء<sup>٢٠</sup>، وأنه ما زال حيًا

على وفاة المسيح في القرآن الكريم واستحالة عودته بنفسه تصريحا وتلميحا، وقد قدمها حضرة المؤسس في العديد من كتبه وفصلها تفصيلا.

<sup>٢٠</sup> أما الظن بأن الرفع حيًا إلى السماء مذكور في القرآن، فهو أيضا فهم خاطئ، لأن القرآن الكريم لم يذكر رفعا إلى السماء حيًا، بل ذكر رفع الروح الذي يكون بعد الموت لأرواح الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، حيث يحظون بمراتب رفيعة وفقا لدرجاتهم، لذلك قال تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: ٥٦)، وذكر الرفع بعد الوفاة تأكيدا على أنه سيحدث ترتيبا بعدها. والعلة في وعد الله للمسيح بأن ترفع روحه هو أن اليهود كانوا يريدون قتله على الصليب ليكون ملعونا وفقا لعقيدتهم؛ حيث ورد في التوراة: ﴿وإِذَا كَانَ عَلَى إِنْسَانٍ حَظِيَّةٌ حَقُّهَا الْمَوْتُ، فَفُتِلَ وَعَلَّقَتْهُ عَلَى حَشَبَةٍ \* فَلَا تَبْتَ جُثَّتُهُ عَلَى الْحَشَبَةِ، بَلْ تَدْفِنُهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لِأَنَّ الْمُعَلَّقَ مَلْعُونٌ مِنَ اللَّهِ.﴾ (التثنية ٢١ : ٢٢ - ٢٣)، فوعد الله المسيح عليه السلام بأنهم لن ينجحوا في قتله على الصليب لكي لا يكون ملعونا وفق عقيدتهم، بل سيحظى بالرفع والإكرام عند الله، والذي هو عكس اللعنة؛ لأن اللعنة هي الطرد من رحمة الله تعالى والإبعاد منه. أما اليهود والنصارى فقد شُبِّهَ لهم أنه قد قُتِلَ على الصليب، وبهذا أثبت اليهود عليه اللعنة، وأقرهم عليها النصارى للأسف؛ حيث اعتقدوا أنه قد مات ملعونا، وامتص كل اللعنات التي يستحقها المجرمون في الماضي وفي المستقبل، بل صار لعنة متجسدة كما يقول بولس: ﴿الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ،

إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى حَشْبَةِ». { (رِسَالَةٌ بُؤْلَسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ غَلَاطِيَّةَ ٣ : ١٣) - والعياذ بالله- ليكون فداءً للبشرية! فجاء القرآن الكريم ليبطل عقيدة اللعنة عند اليهود والنصارى بطريقتين؛ الأول أن الله تعالى قد مكر مكرًا ليبطل حيلة اليهود بلعنه ووعد المسيح بالنجاة من القتل على الصليب ثم بالوفاة وفاة طبيعية فيما بعد بحيث يتبع هذه الوفاة رفع روحه وإكرامه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ \* إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ الصَّلَاطَةَ وَاتَّقِ اللَّهَ ۖ إِنَّكَ كَانَتْ مِنَ الْغَاثِقِينَ ۗ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ الصَّلَاطَةَ وَاتَّقِ اللَّهَ ۖ إِنَّكَ كَانَتْ مِنَ الْغَاثِقِينَ ۗ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ الصَّلَاطَةَ وَاتَّقِ اللَّهَ ۖ إِنَّكَ كَانَتْ مِنَ الْغَاثِقِينَ ۗ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ الصَّلَاطَةَ وَاتَّقِ اللَّهَ ۖ إِنَّكَ كَانَتْ مِنَ الْغَاثِقِينَ ۗ﴾ (آل عمران: ٥٥-٥٦)، والثاني أن وعد الله تعالى بنجاته من الصليب قد تحقق، وأنهم ظنوا أنهم قد قتلوه على الصليب ولكن هذا لم يحدث وفقا لإعلان القرآن: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء: ١٥٨)، لذا فقد انحارت عقيدة اللعنة عند اليهود الذين أخزاهم الله بنجاته، وانحارت العقيدة المسيحية المحرفة القائمة على الفداء المرتبط باللعنة المرتبطة بموته على الصليب بإعلان القرآن الكريم. ولكن كان مقدرا أن تتبين تفاصيل نجاته من الموت على الصليب وتقدم الأدلة التي تثبت صدق الإعلان القرآني بنجاته فيما بعد عندما يستعلي الصليب، فيخرج نائب النبي ﷺ ذلك المسيح الموعود فيكسر الصليب بتقديم هذه الأدلة من كتبهم ومن مراجع تاريخية وعلمية.

إن الإعلان القرآني قد جعل عقيدة نجاة المسيح من الموت على الصليب عقيدة إسلامية راسخة لا يمكن أن يقول بخلافها مسلم. ولكن تأثرا بعقيدة النزول، وبمعتقدات النصارى أيضا، دخلت عند البعض عقيدة أنه قد وقع شبهه على شخص آخر، وهو الذي صلب، أما المسيح فقد رفع إلى السماء. وهذه العقيدة ليس لها سند في القرآن أو الحديث مطلقا،



فيها، وأنه سينزل من السماء تحقيقاً لنبأ نزوله في آخر الزمان، فهي عقيدة دخيلة مبتدعة يرفضها القرآن الكريم رفضاً باتاً، ولم ترد في أي حديث، وقد نشأت تأثراً بعقيدة النصارى الذين قالوا برفعه إلى السماء وتحوله من الناسوت إلى اللاهوت بعد صلبه، وأسهم فيها الفهم الخاطئ لمفهوم النزول الوارد في الأحاديث، والظن أنه نزول من السماء، مع أن الأحاديث لم تذكر مطلقاً رفعا إلى السماء ولا نزولا من السماء<sup>٢١</sup>.

**ثانياً:** مع أن القرآن الكريم قد صرح بوفاة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وبعدهم عودته قبل يوم القيامة قطعاً كما أوضحنا سابقاً، ومع أن هذا الدليل - إضافة إلى أدلة أخرى عديدة في القرآن الكريم - قاطع وكافٍ وشافٍ، فلو تجاوزنا ذلك وافترضنا جدلاً أن المسيح سينزل بنفسه على كل حال، فإن هذا النزول يعني

ويكفي لإثبات أنها دخيلة من عقائد النصارى أن مرجعها الوحيد هو رواية ابن اسحاق التي رواها ابن كثير والتي جاء في أولها: "حدثني رجل كان نصرانياً فأسلم!!!".

<sup>٢١</sup> ورد لفظ النزول في الأحاديث دون السماء، ولم ترد كلمة السماء إلا في حديث واحد رواه البزار وأخطأ فيه وأدرج كلمة "من السماء" في المتن. ومما يدل على أنه إدراج وخطأ منه هو أن ابن حبان الذي جاء بعد البزار قد روى الحديث نفسه بالسند نفسه دون "من السماء". كما كان البزار معروفاً بالخطأ والارتجال وقد جرحه النسائي، وقال عنه الدارقطني وغيره من علماء الحديث إنه يخطئ في الإسناد والمتن ويرتجل كثيراً ولا يحدِّث من كتاب كما كانت عادة المحدثين.

مجيء نبي بعد سيدنا محمد خاتم النبيين ﷺ الذي لا نبي بعده<sup>٢٢</sup>، ويعارض القرآن الكريم الذي لم يذكر أن المسيح سيُبعث نبيا للأمم الإسلامية بعد أن بُعث إلى بني إسرائيل، بل قد حصر القرآن بعثته ببني إسرائيل، كما في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (آل عمران: ٥٠)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٧) وفي الآية الثانية يجدر أن نلاحظ أن المسيح ﷺ قال بأن النبي ﷺ سيُبعث بعده. ولو كان سينزل في آخر الزمان بعد النبي ﷺ لكان واجبا أن يقول إنه سينزل مرة أخرى بعد أحمد!

**ثالثا:** إن نزول المسيح عيسى بن مريم ﷺ بنفسه سيؤدي إلى كسر خاتمية النبي<sup>٢٣</sup> ﷺ الذي هو أفضل الأنبياء وأكملهم وأعلاهم منزلة وآخرهم شريعة وزمانا.

<sup>٢٢</sup> قد يقول قائل إن عيسى ﷺ كان نبيا من قبل، ونزوله لا يعني مجيء نبي جديد، لأنه نبي سابق. إن هذا القول يجانب الصواب؛ لأن النبي ﷺ هو خاتم النبيين، ومن أهم معاني ختم نبوة النبي ﷺ هو أن زمانه ممتد إلى يوم القيامة، وأنه لن يأتي من بعده نبي قديم أو جديد. أما نزول المسيح والاعتقاد ببقائه حيا في السماء إنما يجعل زمن المسيح هو الممتد، ويصبح زمن النبي ﷺ محتويًا فيه، وسيكون المسيح آخر الأنبياء عهدا بالأمّة بلا مراء، حاش لله!

<sup>٢٣</sup> العجيب أن البعض يركزون على أن معنى خاتم النبيين أنه ﷺ آخر الأنبياء فحسب وينسون أن أبرز معاني الخاتمية هي الأفضلية والكمال المطلق على سائر النبيين وليس مجرد

فختم النبوة يمنع بعثة أي نبي مستقلٍ قديماً كان أم حديثاً أو مجيئه أو نزوله بأي طريقة<sup>٢٤</sup>. ولو كان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام سينزل بنفسه فهذا يعني أنه هو من سيكون آخر الأنبياء زماناً وعهداً<sup>٢٥</sup>، بل إن زمانه سيصبح طويلاً وممتداً

الآخيرة فحسب، علماً أن الآخيرة اقتضاها كمال النبي ﷺ وأفضليته المطلقة، لأنه ليس بعد الكمال كمال. ثم هم مع تركيزهم وتحديدهم معنى الخاتمية بالآخيرة فقط ينقضونها بأنفسهم باعتقادهم أن عيسى بن مريم عليه السلام سينزل بنفسه وسيكون نبياً من بعده ﷺ!

<sup>٢٤</sup> حاول البعض حلَّ هذا الإشكال بالقول إن عيسى بن مريم عليه السلام عندما سينزل لن ينزل نبياً، بل سينزل للقيام بالمهام التي ذكرها الحديث فحسب، ولن يكون له عمل مع الأمة الإسلامية بخلاف ذلك، بل سيتبع أئمة المسلمين وسيصلي خلفهم! والواقع أن هذه الفكرة مسيئة جداً للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام لأنها تفترض أن نبوته ستزعم منه؛ والنبوة مقام كريم يُنال بفضل الله تعالى ومن ناله فلا يُنزع منه. كذلك فقد ورد في حديث النبي ﷺ في صحيح مسلم أن المسيح النازل سيكون نبياً حتماً حينها، وتكرر وصفه بالنبي أربع مرات، في حديث واحد الذي جاء فيه: { ... وَيُخَصِّرُ نَبِيَّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابَهُ ... فَيَرْعَبُ نَبِيَّ اللَّهِ عِيسَى ... ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيَّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابَهُ ... فَيَرْعَبُ نَبِيَّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابَهُ } (صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة)

<sup>٢٥</sup> هنالك من يقول إن الآية الكريمة ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء ١٦٠) تفيد أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام سينزل بنفسه من السماء وعند نزوله سيؤمن به أهل الكتاب عن بكرة أبيهم! وهذا الفهم خاطئ رغم أنه منقوض من جوانب عديدة كما أوضحنا أعلاه إلا أن هذه الفائدة المزعومة ليست

ليتضمنَ زمان النبي ﷺ ثم يستمر بعده، حاشَ لله. بل إن هذا الاعتقاد الفاسد سيثبت أفضلية للمسيح على النبي ﷺ أيضاً لما كان سيعث لإصلاح أمته. وبذلك فإن الخاتمية بمعانيها جميعاً ستسقط أمام هذا الاعتقاد وتُكسر، والعياذ بالله.

رابعا: إن الاعتقاد بنزول نبيٍّ سابق من أمة أخرى أو بعثه من موته أو مجيئه

صحيحة بحال؛ لأن القرآن الكريم يؤكد أن اليهود والنصارى سيقون إلى يوم القيامة ولن يندثروا، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران ٥٦) وقوله تعالى: ﴿فَأَعَزَّنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبُغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (المائدة ١٥). فلن يأتي يوم يؤمن فيه كل يهودي وكل نصراني بالإسلام.

والصحيح أن معنى هذه الآية هو أن الله تعالى يقول بأن اليهود عن بكرة أبيهم والنصارى عن بكرة أبيهم يؤمنون "به" أي بقتل المسيح وصلبه رغم أنه ليس في أيديهم إلا الظن ولم يستيقنوا من هذا الأمر. فضمير الهاء في "به" يعود على القتل والصلب وليس على المسيح عيسى بن مريم ﷺ، ويصدق ذلك قوله تعالى من قبل ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ (النساء ١٥٨)، أما صيغة المضارع مع لام التوكيد ونون التوكيد الثقيلة فهي لا تفيد المستقبل فحسب بل تفيد الاستمرار التجددي؛ أي أن هذا ما كان في الحال وما سيكون في المستقبل أيضاً. والأمثلة في القرآن الكريم كثيرة على هذا الاستعمال منها قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ دَكْرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل ٩٨).

بأي وسيلة ليصلح حال الأمة الإسلامية إنما يتضمن إساءة بالغة إلى النبي ﷺ - الذي كان من الأولى أن يأتي هو بنفسه أو من ينوب عنه من أمته - وإساءة للأمة الإسلامية التي قضى الله تعالى أنها خير أمة أخرجت للناس: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١١). فالأمة التي قُدِّر لها أن تحمل الخير للناس، هل من المعقول أنها لا تحمل الخير لنفسها، وأنها لا تستطيع إصلاح فسادها من داخلها؟!!

لذا، فالتوفيق بين نأ القرآن الكريم ونأ الحديث الشريف نجد أنه ليس أمانا خيار سوى الإقرار أن عقيدة نزول المسيح لا تعني أن عيسى بن مريم عليه السلام سينزل بنفسه؛ لتعذر ذلك واستحالته بأدلة قرآنية قاطعة، وإنما المقصود بها ظهور<sup>٢٦</sup>

<sup>٢٦</sup> إذا حدثت شبهة في لفظ النزول وقيل إن الأحاديث تتحدث عن نزول المسيح فكيف يصبح النزول بعثة وظهوراً؟ فنقول إن الأحاديث لم تذكر نزولاً من السماء قط، بل ذكرت النزول الذي معناه البعثة والحلول وذكرت البعثة قبل النزول أحياناً. هذا فضلاً عن أن النزول من السماء يقتضي أن المسيح قد رُفِع إلى السماء حياً وأنه ما زال حياً في السماء ولم يمُت، وأنه سيلتقي بقومه الذين فسدوا ويكسر صليبيهم، وكل هذه العقائد ينفىها القرآن تماماً؛ حيث أكد القرآن الكريم أنه توفي ثم رفعت روحه بعد الموت أي لم يمُت ملعوناً، ولم يذكر له نزولاً ولا عودة بنفسه بأي وسيلة، بل أكد أنه لن يعود لإصلاح قومه وكسر صليبيهم وإبطال تأليفهم له، وسيشهد أمام الله تعالى بذلك يوم القيامة. وقد ذكر القرآن الكريم أن النبي ﷺ قد نزل أيضاً ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا\* رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ

شخص من الأمة الإسلامية يكون مثيلا للمسيح، ويسمى مسيحا نظرا إلى تشابه أحواله معه، ولا يكون نبيا جديدا مستقلا، بل ينال مقام النبوة بطاعته الكاملة وفنائه في النبي ﷺ، وهذا الشخص ينبغي أن يكون هو ذاته الرجل الفارسي الذي ذكره النبي ﷺ في نبوءة بعثته الثانية، والذي سيكون نائبا وممثلا وخليفة له ﷺ، لأنه هو المبعوث الموعود الوحيد الذي يذكره القرآن. كذلك يتحقق ببعثة هذا الموعود الذي ينوب عن النبي ﷺ في بعثته الثانية ما يليق بمقام النبي ﷺ الذي ستعمل قوته القدسية عملها في إصلاح أمته في آخرها كما أصلحتها في أولها وكأنه حاضر بنفسه، لا أن يأتي نبي من أمة أخرى ليصلح أمته ﷺ.

آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿الطَّلَاق: ١١-١٢﴾ مع أنه قد ولد كما هو معلوم ولم ينزل من السماء، كما ذكر القرآن أيضا نزول الحديد والأنعام واللباس وكلها قد خرجت من الأرض وفيها.

ومع أن نزول المسيح يتضمن معاني التشريف، إلا أن النزول يأتي بمعنى الحلول المجرد بمكان كما ينزل المسافر أو الضيف. وقد وردت لفظة النزول بحق الدجال في الحديث في صحيح مسلم (الفتن وأشراف الساعة، قصة الجساسة) وفي مسند أحمد (مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب)، حيث ورد أنه ينزل بالسَّبِيخَة قرب المدينة، فهل يمكن أن يقول قائل إن نزوله سيكون من السماء؟ فتأمل!

وبهذا سنجد أن نبوءة نزول المسيح في حقيقتها ليست إلا صورة أخرى لبعثة النبي ﷺ الثانية عن طريق الرجل الفارسي، وأن هذا الرجل الفارسي هو من سيكون المسيح الموعود في هذه الأمة.

### ومن الأدلة الإضافية على ذلك ما يلي:

أولا: القرآن الكريم، على ذكره أحوال المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بتفصيل -من ولادة وبعثة ونجاة من الصليب ثم التأكيد على وفاته قبل فساد قومه - يخلو تماما من ذكر خبر نزول المسيح، بل قد نفى عودته بأي صورة بنزول أو غيره كما رأينا سابقا. فهذا يؤكد أن مسيح القرآن الذي هو عيسى بن مريم عليه السلام هو حتما غير مسيح الأحاديث النازل، بل شخص آخر مثيل له.

ونظرا إلى أننا لا نجد في القرآن الكريم سوى نبأ بعثة النبي ﷺ الثانية، فهذا يقودنا حتما إلى أن خبر نزول المسيح في الأحاديث إنما يتعلق بهذه البعثة التي لا بعثة سواها، وهدفه إلقاء الضوء على أن ممثل النبي ﷺ في بعثته الثانية ستكون إحدى صفاته أنه مسيح في الأمة مثيلا للمسيح في بني إسرائيل لا أكثر.

ثانيا: نجد أن القرآن الكريم يؤكد في آية الاستخلاف أن الاستخلاف في هذه الأمة هو منها وفيها، وبماثل ما كان في الأمم السابقة، حيث لم يأت الله بخليفة لأمة من أمة أخرى؛ إذ يقول تعالى:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور: ٥٦)

وبهذا يمتنع أن يبعث الله مسيحا من أمة أخرى ليكون مستخلفا على الأمة الإسلامية.

**ثالثا:** كذلك نجد أن أحاديث نزول المسيح قد تضمنت أن المسيح النازل سيكون من الأمة، ولن يكون من خارجها، حيث جاء في الحديث:

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ } (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء)

وقد ورد الحديث نفسه بالسند نفسه أيضا في مسلم بنص:

{ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأممكم منكم } (صحيح مسلم، كتاب الإيمان)

وتقدير النص الأول هو: "وهو إمامكم وهو منكم"، ويعاضده النص الثاني للحديث الذي يقول أنه هو بنفسه سيؤمكم وسيكون منكم. ولن يكون المسيح من الأمة إلا إذا كان مسيحا آخر مثيلا للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام وليس هو نفسه<sup>٢٧</sup>.

<sup>٢٧</sup> العجيب أن المتمسكين بفهمهم الحرفي، الذين يصرون على أن المسيح النازل لا بد أن يكون عيسى بن مريم عليه السلام بنفسه - متجاهلين معارضته الصريحة للقرآن الكريم وما يحتويه



**رابعاً:** هنالك دليل صريح في الحديث على أن المسيح الموعود النازل في آخر الزمان لن يكون المسيح عيسى بن مريم عليه السلام نفسه، بل سيكون شخصاً آخر. فقد جاء في صحيح البخاري في أحاديث متتابعة في كتاب واحد وباب واحد وصفان متناقضان للمسيح؛ وكان الأول هو وصف للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام الذي رآه النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة المعراج مع الأنبياء الآخرين الذين خلوا من قبل؛ إذ

من إشكالات وتناقضات - يصرُّون أيضاً على تجاهل البيان الصريح في القرآن والحديث أن الاستخلاف والإمامة في هذه الأمة ستكون منها وليس من خارجها، وأن المسيح النازل سيكون منها حتماً. والأعجب أن اليهود الذين مردوا على التحريف كانوا أكثر غيراً على أمتهم من هؤلاء؛ فسعوا بكل ما في وسعهم لتجاهل ما تحويه نبوءة بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة، الذي هو مثل موسى، من أنه لن يكون منهم {أَقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ} (التَّثْنِيَّةُ ١٨ : ١٨) بل من إخوتهم؛ أي بني إسماعيل، وأصروا على تحريف المعنى بالقول إن "إخوتهم" إنما تعني هم وليس غيرهم؛ أي من بني إسرائيل. وكذلك نرى المسيحيين من بعدهم أيضاً يصرون على ذلك ويفسرونها كما يفسرها اليهود، مع أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بنفسه قد فسرها لهم بقوله: {لِدَلِيلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ يَنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لِأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ.} (إِنْجِيلُ مَتَّى ٢١ : ٤٣)! فاليهود والنصارى دفعتهم غيرتهم إلى التمسك بفضل أمتهم بخلاف ما قرره الله تعالى، أما بعض الحرفيين من المسلمين فيصرون على نزع الفضل من أمتهم وإعطائه لأمة أخرى! فتأمل!

وصَفه أنه رُبعة عريض الصدر جعد الشعر أحمر كأنه خارج من الحَمَام<sup>٢٨</sup>. وكان الثاني هو المسيح الذي لم يكن قد خُلِق بعد وسيكون في وقت الدجال والذي وصفه النبي ﷺ بأنه آدم؛ أي أسمر، رَجُل الشعر؛ أي أملكسه<sup>٢٩</sup>.

وما ذلك المسيح الموعود الذي نزل صاحب هذه الأوصاف - الذي هو ذاته المهدي المعهود- إلا ذلك الرجل الفارسي نائب النبي ﷺ الذي يمثله في بعثته الثانية، والذي هو مؤسس الفرقة الناجية التي هي جماعة الآخرين الملحقة بالأولين.

<sup>٢٨</sup> عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ لَقِيتُ مُوسَى قَالَ فَنَعَنَهُ فَإِذَا رَجُلٌ حَسْبْتُهُ قَالَ مُضْطَرِبٌ رَجُلُ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ سُوءَةِ قَالَ وَلَقِيتُ عِيسَى فَنَعَنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رُبْعَةٌ أَحْمَرٌ كَأَمَّا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ يَعْني الحَمَامُ} (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء) وجاء أيضا: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {رَأَيْتُ عِيسَى وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرٌ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ وَأَمَّا مُوسَى فَأَدَمٌ جَسِيمٌ سَبُطٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الرُّطِّ} (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء)

<sup>٢٩</sup> {وَأَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الكَعْبَةِ فِي المَنَامِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمٌ كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ آدَمِ الرِّجَالِ تَضْرِبُ لِمَتُّهُ بَيْنَ مَنكِبَيْهِ رَجُلٌ الشَّعْرُ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنكِبَيْ رَجُلَيْنِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا فَقَالُوا هَذَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا وَرَاءَهُ جَعْدًا قَطِطًا أَعْوَرَ الْعَيْنِ الِئْمَى كَأَشْبِهِ مَنْ رَأَيْتُ بِابْنِ قَطَنِ وَاضِعًا يَدَيْهِ عَلَى مَنكِبَيْ رَجُلٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالُوا الْمَسِيحُ الدَّجَالُ} (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء)

ذلك المبعوث الذي نال مقام النبوة غير المستقلة في الأمة لفنائه في النبي ﷺ ولم يكن نبيا مستقلا أو من خارج الأمة ولم تؤدِّ بعثته إلى كسر ختم النبوة- والعياذ بالله- بل كان مصداقا لها، وهو الذي بدأت بعده سلسلة الخلافة الراشدة تحقيقا لنبأ عودتها الثانية.

هذا الذي تضافرت حوله النبوءات وانطبقت عليه وعلى زمانه بصورة كاملة متكاملة، وأعلن أنه مصداق لها، وانفرد بإعلانه أنه هو المسيح الموعود والمهدي المعهود معاً<sup>٣٠</sup>؛ ذلك هو مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية، الإمام المهدي والمسيح الموعود، مرزا غلام أحمد القادياني رحمته الله.

---

<sup>٣٠</sup> سبق أن ادعى البعض المهدوية، وما زالت تبرز بين فترة وأخرى دعوات مهدوية، ولكن لم يسبق أن ادعى أحد أنه يجمع بين منصبَي المهدي والمسيح قبل مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية رحمته الله، بل معظم أذعياء المهدوية يؤمنون بمسيح حيٍّ في السماء من المفترض أن ينزل لمساندتهم.